ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني

بقلم الشيخ؛ عبد الله الرشيد

{ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنِّي ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنَّم لمحيطة بالكافرين}

في السورة الفاضحة التي فضحت المنافقين، المبعثرة التي بعثرت أسرارهم، ذكر الله عز وجل صفات المنافقين، وحججَهم وأعذارَهم وما يتمسّكون به، وردَّ عليهم وفضحهم وعرَّاهم.

ومما ذكر الله جل وعلا عنهم هذه الصفة وهذا العذر: فمن صفتهم الاستئذان للتهرب من الجهاد في سبيل الله والخروج عما أوجبه عليهم وافترضه الله، ومن أعذارهم خوف الوقوع في الفتنة.

وقد ذكر الله عز وجل صفة الاستئذان للتهرب من الجهاد قبل هذه الآية فقال: {**لا يستأذنك الذين يُؤمنون بالله واليوم الآخر أن يُجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليمٌ بالمتّقين * إنَّما يستأذنك الذين لا يُؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبُهم فهم في ريبِهم يتردّدون}.**

فبيّن الله أنَّ هذا العذر لا يكون من الَّذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، وإنَّما يكون ممن لم يؤمن وفي قلبه ريبٌ وشكٌّ يتردّد فيه، وأوضح بهذا أنَّ هذه الصفة علامةٌ من علامات النفاق لا تكون إلاَّ في منافقٍ ولا يفعلها المؤمن بالله واليوم الآخر.

وقد ذكر الله هذا عذرًا للمنافقين عمومًا، ثمَّ ذكر اعتذار طائفةٍ منهم، ممن ألبس عذره اللبوس الشرعي، وادَّعى أنَّ استئذانَه إنَّما هو لخوف الفتنةِ.

وقد نزلت الآية في الجد بن قيس حين رغَّب النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد وقال للصحابة: اغزوا تغنموا بنات بني الأصفر، فقال الجد: ائذن لي ولا تفتنِّي بالنساء، واعتذر بأنَّه لا يصبر عنهنَّ، فالفتنة التي اعتذر بها فتنةٌ في الدين، والخوف الذي ادَّعى أنَّه ترك الجهاد لأجله خوفٌ على الدِّين لا على الدنيا، ومع ذلك فانظر بم أجابه

الله عـزَّ وجـلَّ: {**ألا في الفتنـةِ سـقطوا وإنَّ جهنَّـم لمُحيطةٌ بالكافرين**}، فكيـف بمـن يحتـجُّ بخـوف الفتنـة كفعـل ذلـك المنـافق سـواءً بسـواءٍ، ثـمَّ يفضـله المنـافق بخصلةٍ، وتكون الفتنة التي احتـجّ بهـا المنـافق فتنـة الـدين، والفتنةَ التي احتجَّ بها هذا المحتجُّ فتنة الدنيا، وأيُّهمـا أقـرب إلى العذر وأسلم من المعرَّة.

وهؤلاء المنافقون الـذين احتجّـوا بخـوف الفتنـة، هـم أنفسهم من ذكر الله عنهم قبل هذه الآية بآيـة السـعي فـي الفتنة فقال: {**لقد ابتغوُا الفتنةَ من قبلُ وقلّبـوا لـك الأمـور حتَّـى جـاء الحـقُّ وظهـر أمـر اللـه وهـم كارهون**}، فهم يسعون فـي الفتنـة فـي سـائر أحـوالهم، وإذا جاء الجهاد تعلّلوا بالفتنة واحتجّوا بها ليهربـوا عـن هـذه الفريضة.

وقد وقع المنافق الذي احتجّ بهذه الحجّة، واعتذر بهذا العذر في أمرين عظيمين، استوجب بهما خاتمة هذه الآية:

فقد استأذن للتهـرب مـن فـرض الجهـاد، وليـس مـن صفة المؤمنين الاستئذان للتهرب من فروض الأعيانِ، وإنَّما يستأذن من لم يُؤمن وارتاب قلبُه، فهو يتردَّد في ريبِه.

ثمَّ علَّـل الاسـتئذان بخـوف الفتنـة، وقـدَّم رأيَـه علـى النصِّ، ورأى أنَّه أعلم بالفتنة وأسبابِها، فسلك الطريق الذي انتهى إليه نظره وهواه، وسقط في الفتنة حقًّا.

ولمَّا كان اعتمادهم على عقولهم القاصـرة الضـعيفة، وكلهم اللـه إليهـا، فكـان مـا رأوه مخرجًـا مـن الفتنـة أكـبر أسبابِها وأعظم وسائلها، وفـرُّوا مـن الفتنـة فسـقطوا فـي أعظم الفتن، وأيُّ فتنةٍ أعظم من فتنة النفاق والقعـود عـن الجهاد المتعيّن، بل والتهرّب عنه وإقناع النفس بأنَّه مصيبٌ في تركه له وتهرّبه منه؟!

وهكذا كلُّ من تـرك أمـر اللـه يريـد تحصـيل مصـلحةٍ يراها في المعصية وترك الواجب، فإنَّه يسقط في أشدَّ ممَّا فرَّ منه وأعظم مما لجأ إليه، وقد رأينا اليوم في واقعنا، من يُطالبَ بترك الجهـاد وتـرك الصـدع بـالكفر بالطـاغوت لئلاَّ يتسـلَّط العلمـانيُّون، ثـمَّ مـا لبثنـا أن رأينـاه فـي صـفِّ العلمـانيين بـل يكـاد يكـون أنشـط الـداعين إلـى مبـادئهم وأفكارهم، وأبرز المشاركين في مـؤتمرهم وحـوارهم، مـع

علمه أنَّه مبنيٌّ على ولاء غير ولاء الإسلام، ورايةٍ ليست راية لا إله إلا الله.

والَّذي دعا لترك الجهاد والصدع بتكفير المرتدِّين لئلا يتسلط الطاغوت على المسلمين، ما لبثنا أن رأيناه في صفِّ الطاغوت دون تحفّظ أو احترازٍ، حتَّى صار مقدَّم ذلك الصفِّ وحامل رايته والعياذ بالله.

وأعظم أسباب الفتنة مخالفة أمر الله ورسوله، قال جل وعلا: {**فليحذرِ الَّذين يُخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليمٌ**}.

والفتنة الشركُ، ويدخل في معنى الفتنة ما دونه من معاقبة المخالف في دينه، فحذَّر الله المخالف عقوبتين: الفتنة في الدين، والعذاب الأليم في الدنيا، فكل شر ووبالٍ يخشاه العبد ويتّقيه، يحصل بمخالفة أمر الله عز وجل، ورسوله صلى الله عليه وسلم.

فالَّذي يستأذن ليترك الجهاد يسلك باستئذانه سبب الفتنة الأعظم، من مخالفة أمر الله ورسوله، فكيف يدّعي أن استئذانه خوف الفتنة؟ ألا في الفتنة سقطوا.

والله أعلم
وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

بقلم الشيخ؛ عبد الله بن ناصر الرشيد
عن معسكر البتار / العدد الرابع
ذو الحجة / 1424 هـ

تم تنزيل هذه المادة من منبر التوحيد والجهاد

sw.dehwat.www//:ptth
moc.esedqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth